الشرف

لهذا الشرف بين الناس تأثير شديد اشرنا الى شيء منه قبلاً ولقد افرط المعتدون به الى حد اخرجهم عن رسوم الشرف الحقيقي بما افقدهم من مال واساء لهم من حال

الا ان اعتداد الافراد بالشرف ومدافعتهم عنه بارواحهم واموالهم مما لا يعد غريباً لانه ليس للفرد قيم على نفسه الا منها ولذلك فهو اذا افرط وغالى بذاك الاعتداد الى حد الاضرار بذاته والخروج بها عن دائرة الشرف الحقيقي لم يكن ذلك مما يوجب مؤاخذته مؤاخذة الجماعات وبالتالي الدول التي من حقها التأني كما يجري الان من الدولة الروسية في حربها مع اليابان فانها قد باشرت هذه الحرب على غير استعداد ينطبق على مقدار قوتها وضخامة ملكها ولذلك تخاذلت وارتدت وذهب لها شيء كثير مما كانت تملك ولكنها مع هذا لا تزال تحارب ولن تزال صوناً لشرفها كما يقولون حتى ان اسطول اميرالها رودجستفنسكي الذي مر بديارنا ذاهباً الى الشرق الاقصى لا يزال يحاول الوصول الى غايته بعد ان مكث مدة في مياه مدغسكر وبعد ان سقطت بور ارثر وهو يتعرض بهذه المحاولة الى خطر شديد ولكنه مع ذلك لا بد ان يذهب صيانة للشرف الروسي وصيتها الباهر حتى لا يستضعفها احد او يتهمها بالتقصير او الجبن مع ان سلامة الاسطول ومن فيه وتوفير الاموال التي تنفق عليه مما يعده العاقلون ادنى الى الشرف واقرب الى

مرضاة الله وعبيده ولكن هكذا قدر للشرف حتى من اولي الرشاد والتبصر الذين يستطيعون صون هذا الشرف من غير هذه الوجوه

والذي يظهر ان صون الشرف بالتعرض الى الخطر المؤكد والفشل الذي لا بد منه عادة قديمة في نفوس الدول وقد طالما فنيت بها جيوش وخسرت اموال لا تعد ولا تحصى وقد كان من اقرب ما جرى من هذا القبيل ما فعلته الصين حين حربها مع اليابان عام ١٨٩٤ فانها كانت على كل التأكد من ان اسطولها لا قبل له بملاقاة الاسطول الياباني ولكنها عرضته له تعريضاً حتى ذهبت منه عدة مدرعات ضخمة فريسة للنار والماء وكل هذا من اجل صون الشرف السماوي الصيني مع انها لو ابقت على ذاك الاسطول ورجاله فسلمت تسليما شريفاً لكان فعلها ادنى الى الشرف الحقيقي لان ما ينتج عنه مثل تلك الاضرار الفادحة التي لا تعوض لا يصح ان يسمى شرفا في نظر العاقل المنصف بل هو ظلم محض ولن يكون الشرف حيث يكون الظلم

ولقد تعرضت اسبانيا لحرب الولايات المتحدة وهي دولة منيعة ضخمة لا قبل بملاقاتها بحراً بالخصوص من دولة كاسبانيا ولكنها مع هذا قابلتها مقابلة الكفيء للكفيء حتى اصطيد اسطولها الكبير في سانتياغو الا انه لم يسلم بل فضل الخروج من مصيدته وملاقاة الاسطول الاميركاني فكان من امره ما كان اذ فقدت له عدة دوارع وارواح عديدة عزيزة وقد كان كل هذا من اجل صيانة الشرف الاسباني ولي القديم العزيز ولكنه شرف قد ترتب عليه فقدان شرف لان تلك الدولة اصبحت بلا بحرية تذكر بحيث انه لو بادأتها الان دولة بالعدوان وكانت اقل منها قوة فقد تضطر لمسالمتها بالاعتذار

الذي يمس ذاك الشرف وهذا عجيب من دول تقودها الشورى والتمييز ولكنهم لا يعدونه عجيباً لان كل الدول تجري على هذا المجرى من قديم الدهر جري الافراد في مبارزاتهم صيانة لما يسمونه بالشرف مع انه ليس اشرف من السلامة ولا اشد صوناً للكرامة من التساهل والغفران

على ان صيانة الشرف اثناء القتال مما يقال ان الدول تضطر اليه مراعاة لرعاياها الهائجين المضطربين والا ثاروا عليها واستضعفوها ولكنه حدث مرة في اثناء السلم ان مرت دارعة دانمركية بين دوارع انكليزية من عهد بعيد فلم تسلم عليها باطلاق المدافع فاعتبرت انكلترا ان ذاك الفعل مذيل لشرفها فضربت تلك الدارعة وترتب على ذلك حرب عظيمة ذهبت بهاعدة دوارع كبرى والوف من الارواح التي كان صونها ادعى الى الشرف لوكان الناس يعقلون . ومما يعد من هذا القبيل انهزام احد ملوك فرنسا وتشتت جيوشه ثم كتابته لامه يقول لها لقد فقدنا كل شيء الا الشرف يريد بذلك انه قاتل حتى لم يبق لديه جنود يقتلون مع انه لو استبقاهم وسلم لكان ذلك اقرب الى الشرف في نظر الله دون الناس الذين طبعوا على العناد والظلم واعتبار الاذى شرفا مع ان عتبى كل هذا هو التسليم للعدو وذهاب الشرف بذهاب القوة ولقد سلم نابوليون الثالث في سيدان وكان معه الوف من الجيوش الباسلة فقالوا انه ضعيف لا شرف له مع انه وفر لقومه ونساء بلاده واطفالها ارواح مئات الوف من المخلوقات الشريفة وها هي فرنسا لا تزال شريفة عزيزة وقد مرت عليها ازمات سياسية شديدة استعاضت فيها عن التشرف بالحرب التشرف بالمسالمة والوداعة والرفق ولذلك فهي تصافي الان اعدى عدوة لها وهي انكلترا مع انها لو كانت في زمن ملوكها السابقين

وحدثت مشكلة فشوده مع انكلترا لاريقت دماء عشرات الوف واما الان فهي دولة حكيمة تعتبر المجد باستبقاء الانسان مفضلاً على المجد بفقده في سبيل مجد باطل . والذي يفكر الان في حرب اليابان والروس يجد تسعة اعشارها مسببة عن حفظ الصيت اكثر منها عن نيل مغنم ولكن ما الحيلة وقد صارت كل الدول الاوربية تجري على شريعة المتنبي بقوله

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

ناسية وهي مسيحية قول السيد المسيح لبطرس «اردد سيفك الى غمده»

تسليم بور ارثر

باطراف آسيا فؤادٌ معلقُ حواليه امواج البحار تصفقُ
وفيه عيون الغرب والشرق تحدق ومن فوقه طير النوائب يخفق
فترعد فيه النائبات وتبرقُ

هناك ارى سيفاً جرازاً مثلما وقلباً ابياً بالقضاء محطما
ورأساً عظيما يرفع الطرف للسما ويرجع كي يلقى الاماني والدما
تسير الى قعر العجاج فتغرق

هناك ارى ستوسال في موقف البلا يسلم كف اليأس فكراً مؤملا
ويحني جبيناً طالما حفه العلا فاصبح يسلو كل مجد وما سلا
جنوداً بارماس البحار تفرقوا